يوسف العتيبة

بندر، يتطوّع نظام الإمارات لخدمة حروب أميركا وعمليّاتها المخابراتيّة القذرة. 3) مثل بندر قبله، يستعين العتيبة بدفق هائل من المال ليوفّر له القدرة على السيطرة على آراء نخبة الخبراء والإعلاميّين. وحالما بدأ العتيبة بممارسة مهامه عيّن مسؤولة التشريفات في إدارة جورج بوش مستشارةً له. ولم ينجح في جذب أنظار واشنطن إليه بسحر شخصيّته، وإنما بالإنفاق المالي الهائل — الخاص والرسمي — على مراكز الأبحاث ونجوم الإعلام الأميركي. وباتت دولة الإمارات، حسب مراجعة الإنفاق من قبل «هافنغتون بوست»، أكثر الدول إنفاقاً على العمل اللوبي في العاصمة (14,2 مليون في عام 2014). وتتنافس دول البحرين والكويت وقطر والسعوديّة والإمارات في الإنفاق على شركات علاقات عامّة وشركات تأثير وبيع النفوذ (وتستعين هذه الشركات بأعضاء سابقين في الكونغرس في مجالس إدارتها وعضويّتها لفتح أبواب الكونغرس أمام زبائنها). وهذه الشركات تقدّم خدمات ليس فقط لتحسين صورة الدولة المعنيّة أو لفتح أبواب الكونغرس المفتوحة أصلاً، بل هي أيضاً تقدّم خدمات للدولة الأم عبر تقديم اقتراحات ومبادرات سياسيّة وتجميليّة لتغيير انطباع الرأي العام (يظهر ذلك بوضوح في إعلانات دوريّة من الإمارات عن إنشاء وزارة للسعادة أو للتسامح أو إنشاء مركز للتسامح أو إنشاء مراكز للحوار بين الأديان، الخ). وهذه الشركات هي التي تعدّ نصوصاً لخطب يمكن أن يلقيها السفير أو المسؤول الإماراتي الزائر، وهي التي ترسل إلى الصحف رسائل بأسماء أميركيّة للدفاع عن وجهة نظر الإمارات. 4) استفاد العتيبة من تجربة قطر في المساهمة الماليّة السخيّة لدولة قطر في «مؤسّسة بروكنغز» التي أصبحت ذراعاً لوبياً للنظام، وكسر أرقاماً قياسيّة في تمويل مراكز أبحاث ودراسات من اليمين إلى اليسار. والمراكز التي تعنى بالشرق الأوسط، أو حتى تلك التي تُعنى بشؤون سياسيّة عامّة داخليّة، مثل «مركز التقدّم الأميركي»، تتلقّى تمويلاً بالملايين من حكومة الإمارات. و«مركز الدراسات الاستراتيجيّة والدوليّة» في واشنطن

> لا يخفي العتيبة صداقته الحميمة مع السفير الإسرائيلي في واشنطن

بات معتمداً بصورة كبيرة على التمويل الإماراتي الذي تكفّل بإنشاء المبنى الفخم الجديد للمركز. وهذا التمويل يضمن بصورة أكيدة التوافق بين إنتاج مراكز الأبحاث وتوجّهات الحكومة المموّلة. والتسريبات البريديّة من الحساب الإلكتروني للعتيبة كشف الكثير عن عمل هذه المراكز، حيث يقوم السفير بتمويل مؤتمرات وجولات اطلاعيّة إلى الدولة المعنيّة ولقاءات مع مسؤولين حكوميّين في دولة الإمارات بالإضافة إلى التنسيق في المواقف السياسيّة. وكان ملفتاً الدرجة التي كانت العتيبة يتواصل فيها بصورة اعتياديّة مع «خبراء» مراكز الأبحاث الذين كانوا يسعون لكسب ودّه 5. وفي رسالة أخرى، يشكر فيها مدير الذراع الفكريّة للوبي الإسرائيلي، أي «مؤسّسة واشنطن لسياسات الشرق الأدنى»6، السفير العتيبة على «الهديّة السخيّة» التي أرسلها له. وعندما سأل موقع «ميدل إيست آي» روبرت ستلوف عن تلك الهديّة، أجاب أن سياسة المؤسّسة لا تتيح قبول هدايا من مصادر أجنبيّة تزيد عن العشرين دولاراً. لكن كيف تكون هديّة «سخيّة» وثمنها أقل من عشرين دولاراً؟ هل تكون فرشاة أسنان، مثلاً؟ وبعض الخبراء في هذه المراكز يدلي بشهادات أمام الكونغرس، أي أن تلك الشهادات، مثل تقارير المراكز، مدفوعة الثمن ومُقرّرة المضمون من قبل المُموِّل. وظهر في الأزمة الخليجيّة الأخيرة مدى نفوذ العتيبة وتأثيره على التعاطف الأميركي مع موقف السعوديّة والإمارات. 5) يحيط العتيبة الصحافيّين الأميركيّين، خصوصاً المعادين للعرب والمسلمين من شبكة «فوكس» وأيضاً هؤلاء الذين يكتبون في شؤون الأمن القومي، مثل ديفيد إغناطيوس من «واشنطن بوست»، بعناية خاصّة. وتلقّى الكثير من صحافيّي واشنطن هدايا «آي باد» من السفير الذي ينظمّ في منزله حفلات لمشاهدات لمباريات كرة القدم الأميركيّة على شاشة أقسم صحافي أميركي أنه لم يرَ بحجمها من قبل. وهو يدعو نجوم الصحافة — على طريقة ازدشير زاهدي من قبله — إلى زيارة دبي على متن طائرته الخاصّة لمشاهدة سباق سيّارات. 6) تفوّق السفير العتيبة على كل نظرائه وسابقيه في المنصب في التقرّب من أكثر الأجنحة الصهيونيّة تطرّفاً لكسب ثقة الكونغرس الأميركي. نستشف من مراسلات العتيبة أنه يواظب على إلقاء أحاديث وخطب مغلقة في المؤسّسات الصهيونيّة، كما أنه لا يخفي صداقته الحميمة مع السفير الإسرائيلي في واشنطن (وهو من عتاة المتطرّفين الليكوديّين). وفي واحدة من الرسائل، يقترح روبرت ستلوف (المذكور أعلاه) على العتيبة عقد اجتماع مع جنرال إسرائيلي للاستماع إلى شرح عن فعالية الصواريخ الإسرائيليّة التي انهمرت على أهل غزة في حربها الأخيرة. 7) يعمل العتيبة على سكّة العلاقة مع شركات تصنيع السلاح الأميركيّة ومع شركات إماراتيّة لمكافأة «الخبراء» الموالين لمشيئة الإمارات. 8) يساهم العتيبة بالنيابة عن الإمارات في الإنفاق على «الأعمال الخيريّة» الأميركيّة. لكن التمحيص في هذا الإنفاق، يظهر أن الكثير من الإحسان الإماراتي يعود بالنفع على مؤسّسات تابعة لسياسيّين بارزين أو رؤساء باقين، مثل «مؤسّسة كلينتون» التي تلقّت معونة من بضعة ملايين من الدورات من العتيبة.

إن طريقة عمل السفير العتيبة في واشنطن هي تعبير عن نواقص الديموقراطيّة الأميركيّة التي تتيح لأصحاب الأموال التأثير فيها وعليها. كما أن «نجاح» — النجاح بالمعنى السلبي لأن المعيار هو خدمة مصالح نظام استبدادي متصالح مع الصهيونيّة — السفير العتيبة هو تعبير فرعي عن نفوذ اللوبي الإسرائيلي. لو أن السفير العتيبة، مثلاً، يهتم بقضيّة فلسطين، ولو أنه في أحاديثه، أو في أحاديث محمد بن زايد، لا يوافق على سقف أدنى حتى من السقف المتدنّي لـ«مبادرة السلام السعوديّة» — كما ورد في وثيقة لـ«ويكليكس»، لما كان بمستطاعه تمويل دكّان فلافل في واشنطن. عندما كان النظامان العراقي والليبي ينتهجان مواقف معادية لإسرائيل، لم يكن بمستطاعهما تمويل جامعات أو مراكز أبحاث. الإنفاق والتأثير مُتاحان فقط لمن ينضوي في ركب اللوبي الإسرائيلي. بمعنى آخر، إن نجاح يوسف العتيبة هو في حقيقته نجاح للوبي الإسرائيلي، لا له.

1- يعترف أبا إيبان أنه كان يتبادل المراسلات على قصاصات ورق أثناء اجتماعات الأمم المتحدة، فيما كان مالك يمثّل — افتراضاً — وجهة النظر العربيّة.

2- فرانك وزنر كان معروفاً بقربه من حسني مبارك، وهو لعب دور المبعوث الأميركي لأوباما في فترة الانتفاضة المصريّة، حين حثّ وزنر الإدارة على الحفاظ على مبارك. وهو يشغل اليوم منصب رئيس مجلس الإدارة لـ«مؤسّسة دول الخليج العربي»، ذات التمويل الإماراتي (والسعودي).

3- راجع مقالة رايان غريم وأكبر شهيد أحمد في «هافنغتون بوست» عن السفير العتيبة.

4- ضاحية مكلين في فرجينيا هي أيضاً كانت موقع منزل بندر الشهير، بقرب منزل السيناتور إدوار كنيدي. والمنطقة مرغوبة من الأثرياء الذين يودّون الابتعاد عن صخب وأضواء العاصمة.

5- في واحدة من تلك الرسائل المُسرّبة، يقول اللبناني بلال صعب بإعلام السفير العتيبة أنه رفض دعوة من السفارة القطريّة لحضور حفل.

6. الترجمة العربيّة الرسميّة للمركز ليست دقيقة ربما بسبب ضعف التمكّن في اللغة العربيّة عند مستشرقي دولة العدوّ.

*كاتب عربي (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

سوريا بعد العراق... إخفاقات فعدوان؟!

سعد الله مزرعاني *

لا شك أن سلطة الرئيس السوري بشار الأسد، تعزّز مواقعها كل يوم في مناطق وساحات أساسية من البلاد. نجاحات متلاحقة، بعضها ذو طابع استراتيجي، تتأكد في طول البلاد وعرضها. الراعي الروسي يواصل، في امتداد دوره الميداني الذي شكّل الحلقة الحاسمة في إطلاق مسلسل التحولات في الميدان السوري، يواصل الدفع باتجاهين: الأول تكريس وتعزيز تفوق النظام السوري وبلوغه حدود الغلبة الكاملة أو شبه الكاملة على خصومه. والثاني الضغط من أجل حل سياسي أعدت له القيادة الروسية كل التحضيرات والاستعدادات لكي يأتي مضمونه مطابقاً لتطورات الميدان، أي ليأتي الحل السياسي، بالتقسيط أو بالجملة، في مصلحة سلطة الرئيس الأسد وحلفائه وبالتالي لمصلحة التحالف، الذي يمكن القول بشيء من الثقة، أن روسيا هي التي قادته منذ أكثر من سنتين وتواصل قيادته، بنشاط ومبادرات ونجاح، حتى يومنا هذا.

من نتائج صعود الدور الروسي والحليف لروسيا في سوريا تراجع أدوار عديدة في المعسكر الآخر. بالدرجة الأولى، تراجع وزنُ المعارضة السورية إلى درجة أنها باتت اليوم تحاول الحصول، ليس على كل ما كانت ترفضه بالأمس، بل على بعض ما كانت ترفضه. والمشهد الآن يفيد بأن هذه المعارضة لم تعد تقدر على أن تكون حتى مجرد طرف في المفاوضات. إن ما تبقى من أوراق تفاوض قد باتت في يد الولايات المتحدة الأميركية. وإحدى هذه الأوراق ذات صفة معنوية لجهة حاجة روسيا إلى إضفاء نوع من «الشرعية» على دورها في سوريا والمنطقة. فالاعتراف الأميركي مطلب روسي تسعى إدارة الرئيس بوتين إلى الحصول عليه كثمرة لنجاح استراتيجيتها في الدخول إلى الميدان السوري وقلب المشهد فيه بشكل كامل تقريباً. ذلك سيشكل، أيضاً، تعبيراً عن تحول في العلاقات الدولية أنهى مرحلة التفرد الأميركي وسيؤدي، كما ترغب القيادة الروسية، إلى تكريس «الشراكة» الروسية في «إدارة» الشؤون الدولية التي طالما سعى إليها الرئيس بوتين وفريقاه السياسي والعسكري. لقد كرر الرئيس الروسي ووزير خارجيته لافروف الاعتراض على استئثار واشنطن بإدارة شؤون العالم. حرَّضا ضد هذا التفرّد وطالبا بالشراكة عبر الانخراط في النزاعات وأبرزها في سوريا (وقبلها في جورجيا وأوكرانيا). وهما تمكنا من إثبات قدرة الإدارة الروسية على فرض تغيير في مسار الأحداث. وكانت القيادة الروسية تخوض حربين في حرب واحدة: الأولى ما ذكرناه حول تفرد واشنطن، والثانية تلك الموجهة ضد نزعة واشنطن لتغيير السياسات والخرائط والأنظمة، بالقوة وعبر التدخل العسكري، كما حصل في العراق وليبيا، وكما كان يمكن أن يحصل في روسيا نفسها!

تملك واشنطن أيضاً أوراقاً في الشمال والجنوب السوري. لكن هذه الأوراق لم تعد كافية لتعويض انكفاء وخسائر عديدة ولموازنة الدور الروسي. ويضاعف من تراجع التأثير الأميركي صراعات الحلفاء الخليجيين وكذلك تخبط إدارة الرئيس ترامب وعجزها عن تغيير المعادلات في الشرق الأوسط كما وعدت حلفاءها (وتقاضت ثمن ذلك سلفاً) دون أن تفعل أي شيء يذكر حتى الآن!

ليس في الأفق ما يشير إلى أن إدارة ترامب سوف تتماسك، ومن ثم سوف تقر خطة من شأنها تعطيل المسار الراهن في الأزمة السورية. هي تراجعت ولا تزال في ملفات عديدة في العالم وسط إطلاق قنابل دخانية لا تقدم ولا تؤخر. لا يعني ذلك أن واشنطن لا تأثير ولا دور لها. على العكس هي لاعب أساسي لكنه غير مستأثر بالقرار كما كان يحصل منذ انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991. هذا الأمر، في كل مساره المتأخر خصوصاً، يقلق القيادة الصهيونية. رئيس الحكومة نتنياهو يحاول استدراك ما أمكن: في موسكو وفي واشنطن، على أمل أن يعدِّل عبر الديبلوماسية ما بات صعباً تعديله في الميدان. كان يراهن على دور أميركي أنشط وأكثر التزاماً بمصالح إسرائيل. وكان، أيضاً، يراهن على صمود الجماعات الإرهابية أكثر مما فعلت لمواصلة استنزاف خصومه في سوريا من اللاعبين المحليين والإقليميين والدوليين. الآن قادة إسرائيل يبحثون عن مخارج لهذا الوضع غير المريح بالنسبة إليهم. طبعاً هم يعملون في واشنطن على تغيير موقف إدارتها وحجم تورطها في سوريا وفي المنطقة. تراودهم مشاريع التدخل العسكري المباشر إذا تبنّت واشنطن هذا الأمر على غرار ما حدث قبل 11 عاماً في حرب تموز. يومها كانت واشنطن هي المبادرة لاستدراك «إخفاقات» قواتها في العراق عبر محاولة إعادة إطلاق «الشرق الأوسط الجديد» الذي تعثر في عاصمة الرشيد! تختبر القيادة الصهيونية، كذلك، ممارسة ضغوط على موسكو وهي ضغوط تفقد فعاليتها، تباعاً بسبب الارتباك المستمر في أداء وبلورة توجهات الإدارة الأميركية الراهنة التي عوَّلت عليها القيادة الصهيونية الكثير في مجمل سياساتها ومخططاتها في المنطقة.

لا مجال لتراجع ثلاثي بوتين ووزيري خارجيته ودفاعه. إحداث تعديلات في المسار السوري الراهن سيكون شديد الصعوبة إذا لم يكن متعذراً. ما عدا ذلك، سينطوي على مغامرة بالغة المخاطر على جميع الأطراف بسبب التصميم الروسي الذي لا يبدو قابلاً لأن يتراجع في أي من المسائل الأساسية.

في هذه الأثناء تحاول القيادة الصهيونية إثارة مسألة دور ووظيفة قوات «اليونيفيل» في لبنان بالتزامن مع إثارة مسألة الوجود الإيراني ووجود قوات «حزب الله» في سوريا. ليس من المتوقع أن يلاقي الضغط الإسرائيلي أي صدى جدي: لا بشأن تعديل مهمة قوات الأمم المتحدة في الجنوب اللبناني وفق القرار 1701 (فضلاً عن توسيع مهمتها)، ولا بشأن انسحاب القوات الإيرانية وقوات «حزب الله» من سوريا. سيحاول نتنياهو، كما ذكرنا، دفع إدارة ترامب إلى تبديل سياستها وإلى تبني عملية تخريب وعدوان إسرائيليين على لبنان وفيه. سيحاول هذه المرة الضغط على الموقف الرسمي اللبناني واستهداف قوات الشرعية اللبنانية، وتحميلها مسؤولية التعاون مع «حزب الله» وتقديم تسهيلات له بهدف إثارة فتنة داخلية في لبنان.

الخيبة الإسرائيلية في سوريا قد تدفع الصهاينة للتصعيد ضد لبنان بوسائل العدوان المباشر أو بوسائل أخرى. هذا ما حصل بعد إخفاقات العراق، وهذا ما قد يحصل بعد إخفاقات سوريا.

لا تُواجه هذه الاحتمالات بالأساليب السابقة. ثمة متغيرات كبيرة نجمت عن سنوات الصراع الدامي. بعض هذه المتغيرات أوجد شروخاً وانقسامات في الجسد والروح الشعبيين العربيين على نحو مخيف: لا بد من مراجعة جوهرية. لا بد من مقاربات جديدة وجدية لا يكون المنطق الأمني فيها هو الأساس!

* كاتب وسياسي لبناني